وقال : « لقد تأثرت بأقوال السلطان التي تتسم بالحقيقة والفخر ، بالرغم من انها تضع في الوقت الحاضر نهاية لكل آمالي » ٠ (٣٣) وقبل سفره اتصل بابراهيم بك ـ سكرتير القصر ـ وبعزت بك ـ احد المسؤولين الاتراك ـ وقد طلب محاولا اقناعهما تحقيق المشروع الصهيوني ، الا ان عزت بك اجابه ـ بلهجته الفرنسية الركيكة ـ « بامكان الاسرائيليين ان يأتوا ، لكن عليهم ان يوافقوا على ان يصبحوا رعايا عثمانيين ٠٠٠ ليس عليهم ان يصبحوا رعايا اتراك فقط بل ايضا ان يتخلوا عن ولاءاتهم السابقة وان يصدقوا رسميا من قبل الحكومات المعنية على تخليهم » ٠ ويعتبر هذا الموقف العثماني ادراكا عمليا وسياسيا للاخطار التي يمكن ان تنجم عن استيطان اليهود في فلسطين مع استمرارهم على جنسياتهم وولاءاتهم الاوروبية والاميركية السابقة ، لان معنى ذلك استفحال خطر الامتيازات الاجنبية وتزايد تدخل الحكومات التي كان اليهود يعيشون في ظل سيطرتها ٠

وبعد التداول بهذه الآراء قال ابراهيم بك ـ متابعا آراء عزت بك ـ « وعليهم ان يؤدوا الخدمة العسكرية اذا دعاهم جلالته الى الجندية » ٠ ويلاحظ بأن هذا الشرط هو من ضمن الشروط التعجيزية ، ذلك ان لا اليهود يقبلون بتنفيذ هذا الشرط ، ولا القوانين العثمانية تسمح باستخدام غير المسلمين في الجندية العثمانية ٠ وانهى عزت بك الموضوع بأنه « تحت هذه الشروط قد نسمح بدخول الاسرائيليين من كل بلد ٠٠٠ امر آخر ، يجب ان لا يجري الاستعمار في جماعات كبيرة ٠ بدلا من ذلك لنقل خمس عائلات هنا وخمس عائلات هناك موزعين بدون اتصال » ٠ فقال هرتزل في داخله ـ بعد سماعه الرأي الاخير ـ « حتى تنهبوهم وتذبحوهم بسهولة اكثر » ٠ (٣٤) ثم انتهى هذا الاجتماع على غرار غيره بدون اية نتيجة ٠

والحقيقة ان تيودور هرتزل رأى ضرورة الاتصال بدوائر الحركة الاستعمارية البريطانية للوصول الى مخرج دبلوماسي ومالي يقنع الدولة العثمانية بما يريد ان يحققه لليهود فاتصل بسيسل رودس (S. Rhodes)للافادة من ماله وتجاربه الاستعمارية وطالما ان السيطرة على فلسطين امر استعماري ـ على حد قول هرتزل ـ فلا بد اذن من الاتصال برودس ٠ فأرسل اليه رسالة بتاريخ ١٠ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٢ يعرض عليه المشروع الصهيوني ويطلب منه تأييده ٠ ولكن هرتزل مني بصدمة كبرى اثر تلقيه خبر وفاة سيسيل رودس في آذار (مارس) عام ١٩٠٢ ٠

وفي ١٢ شباط (فبراير) عام ١٩٠٢ سافر تيودور هرتزل الى استانبول في زيارة رابعة ولكنه لم يستطع في هذه المرة مقابلة السلطان ، غير انه اجتمع مجددا مع ابراهيم بك وعزت بك ٠ وفي هذا الاجتماع انكر ابراهيم بك ما اشيع من ان السلطان سمح بالهجرة اليهودية الى فلسطين لتأسيس دولة يهودية ٠